

للدكتور عبد الهادي التازي

مخطوطة فريدة في العالم الاسلامي انتقلت من غرناطة الى فاس ثم تحولت فى ظروف غامضة الى بلاد الحرمين ومصر والشام وانتهت الى اسطامبول عاصمة العثمانيين ، ومنها اقتناها احد رجالات طرابلس الغرب حيث وصلت اخبارها الى السلطان العالم الواصل المولى سليمان الذي عهد الى سفير له خاص في ليبيا باشترائها من الشيخ (بوطبل) ، وقد تم الشراء فعلا ولم يحل دون وصول المخطوطة للمولى سليمان الا نشوب حرب بين ولاة الجزائر وباي تونس حمودة باشا ... وكان اخر العهد بها افادة تؤكد انه انتهت لمكتبة واحة الجغبوب ... ولما سفرت لبلادي فى تلك الديار عقدت العزم على البحث عن الكتاب ... وقد وفقني الله لاكتشاف امره فاسهمت بذلك في مجهود قام به سفير لنا سابق منذ زهاء قرنين من الزمان ...

د. عبد الهادي التازي

حينما ظهرت بالمملكة المغربية نسخة من المجلد الاول الموافق للخمس الثاني من الاصل للجامع الصحيح للامام ابي عبد الله البخاري بخط يد الحافظ ابـــي عمران موسى ابن سعادة الاندلسي ، اهتزت رحـــاب المجالس الاكاديمية بالعمل الجليل الذي قام به الاستاذ ليفي بروفنصال مدير معهد الدروس العليا انذاك (1) .

والحقيقة ان النسخة المشار اليها ـ وقد عثر عليها بخزانة جامع القرويين الكبرى (2) ـ تعتبر من

(1) Publication Tome XIX - Imprimerie « Française et Orientale » - Chalon-sur-Saône - Le 31 juillet1920 - Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, 13, rue Jacob V.P., 1928.

(2) لصحيح الامام البخاري منزلة كبرى لدى المغاربة .. وعندما اسس السلطان المولى اسماعيل جـــد الاسرة العلوية الجيش المغربي اعطاه اسم عبيد البخاري ، وقد اتى الاسم من ان العاهل المغربـــي عندما تم له تنظيم الجيش المذكور من نحو مائة وخمسين الفا ، جمعهم واحضر مخطوطة من صحيح الامام البخاري وخطب فى ضباط الجيش : « انتم وانا عبيد لسنة رسول الله المجموعة فى هذا الكتاب، فكل ما امر به نفعله وكل ما نهي عنه نتركه وعليه نقاتل .. وطلب اليهم اداء اليميـــن على البخـــاري فعاهدوه ، ثم انه امر بالاحتفاظ بتلـــك المخطوطة وبحملها عند الحروب امام الجيش تيمنا بها وتبركا، فلهذا يحمل الجيش المحيط بالعاهل المغربي الى الان اسم « البواخر » او عبيد البخاري ، ومن هنا ايضا اثرت قراءة صحيح البخاري بالقصور الملكية فى الاشهر الحرم .. ومن هنا كذلك فانه لا تخلو خزانة فى مسجد من المساجد دون ان تجد فيها مجلدات صحيح الامام البخاري ولا بد فى بعض البيوت من وجود مخطوطات من البخاري الى جانب المصحف الكريم يتبارى فى كتابتها الوراقـــون وفى تحليتهـــا الصائغون ، وقد فتحت عيني فى البيت على نسخة تبتدىء هكذا : « اخبرنا الحافظ ابو علي حسين ابن محمد بن فيارة الصدفي رضي الله عنه قراءه مني عليه بداية حرسها الله الخ » . وهي من نسخ السيد عبد الخالق بن عبد القادر برادة فرغ من نسخها يوم الاحد 8 ربيع الثاني عام 1310 . المنزع اللطيف (مخطوط) بالخزانة العامة ص 392 الناصري : الاستقصا 7ر41 ـ التازي ـ امير مغربي فى ليبيا (تحت الطبع) التازي : تاريخ القرويين (مسجـــد العبادسة) .

الاهمية بمكان لان رواية ابن سعادة ظلت معتمد المغاربة أجمعين بنفس اعتماد المشارقة على رواية اليونيني(3) وقد اتى هذا الاهتمام من كون ابن سعادة روى عن الصدفي عن الباجي عن ابي ذر عن شيوخه الثلاثة عن الفربري عن البخاري ؛ فبينه وبين الامام خمس وسائط ...

هناك فعلا مميزات طبعت المغاربة عن غيرهم من المشارقة في شتى المجالات ومختلف الميادين (4) ونحن نرى هنا ايضا اعتماد البلاد المغربية بما فيها طرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى والبلاد الاندلسية ، كلها تعتمد في رواية البخاري على رواية ابي عبد الله الصدفي وليس على رواية تقي الدين اليونيني ...

وقد تحدث صاحب مقدمة المخطوطة المذكورة عن النواحي التي جعلت من رواية ابن سعادة ورواية مفضلة عن غيرها من روايات الامام البخاري ونسخه المنتشرة في بلاد الاسلام .

وكان ابرز مرجح ومؤثر لها على ما سواها أنها نسخت من نسخة شيخه وصهره (5) الحافظ ابي علي الصدفي التي طاف بها في الامصار وسمعها وقابلها على نسخ شيوخه بالعراق ومصر والشام والحجاز والاندلس ولا شك ان اصلا كهذا – في التداول وتناول الايدي – لا يعدله في الصحة شيء ، وبالاضافة الى هذا فقد كان الصدفي يتوفر على نسخة من الصحيح مقروءة على ابي ذر الهروي ، وابو ذر اخذ عن تلاميذ الفربري الذي كان يمتلك نسخة للصحيح بخط البخاري (6) .

والحقيقة ان سائر المرجحات التي ذكرت من اجل تزكية نسخة ابن سعادة وتعزيز جانبها كانت في معظمها ، ان لم نقل كلها ، تفسيرا للارتباط الوثيق بنسخة الصدفي ، وان تلك اعتمدت على هذه ومنها استمدت قيمتها وقوتها .

وعندما يشيد الفاسيون باسم «النسخة الشيخة» التي نقلوها عن مخطوطة ابن سعادة يذكرون في اعتزاز كذلك اسم الحافظ الصدفي على انه الذي قيم نسخة ابن سعادة (7) .

---

(3) هو الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الله الملقب بتقي الدين من سلالة جعفر الصادق اليونيني، حنبلي المذهب ، ولد في يونين ، واشتهر وتوفي في بعلبك ، وكان مقربا من ملوك عصره كالاشرف والكامل، وله معهما ومع غيرهما اخبار .. وهو ابو قطب الدين موسى المؤرخ . البداية والنهاية 13ر227 – ذيل طبقات الحنابلة 2ر269 – 273 شذرات الذهب 5ر294 .

(4) سمعنا كثيرا عن اختيار هؤلاء مثلا للمذهب المالكي وعقيدة الاشعري بينما كان الامر يختلف عن ذلك في الديار الشرقية ، وسمعنا اختيار المغاربة لتلاوة القرآن برواية ورش (ت 190) وسمعنا عن ان المغاربة اتخذوا لهم لون البياض رمزا للتعبير عن الحداد مثلا بينما ظل المشارقة يتحللون بالسواد في مثل هذه المناسبات .. هناك في التاليف طريق لهؤلاء غيرها عند الآخرين ، وفي استعمال الارقام كذلك دابنا هناك على ارقام غير التي استمر عليها الاخرون .. وحتى (الابجدية) كان للمغاربة فيها ترتيب غير الذي كان للمشارقة ..

(5) ورد في رسالة كتبها ابو علي الصدفي لابي محمد الركلي مقدمة من الشرق : « وان تفضلت بمجاورتي فالي دانية يدفع الى بني سعادة وهم من اهل بلنسية جبرها الله تصاهرت الان معهم لمعنى لا يمكنني ذكره وربما علمته من موصل كتابي ، وذلك اني قدمت دانية باثر ما جرى علي في البحر في الغرق فبالغ القوم في اكرامي لمعرفة كانت تقدمت بيني وبين احدهم بالاسكندرية فقدر الله هذا الامر » التنويه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة للكتاني .

(6) الفتح 2 ص 255 .

(7) اشتهرت «النسخة الشيخة» على انها البديل الوحيد لنسخة ابن سعادة ولهذا نرى الملوك يعتمدون عليها عند تعويض ما ضاع من ابن سعادة ، وقد اصدر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ظهيرا بتاريخ 20 جمادى الاولى عام 1288 جاء فيه : لما كان الاصل من الجامع الصحيح للامام البخاري المنتسخ بخط الحافظ ابن سعادة محبسا بخزانة القرويين وضاع منه الخمس الاول وبحثنا عنه اشد البحث فلم يوجد امرنا بانتساخ آخر بدله من النسخة المعروفة بالشيخة المنتسخة من الاصل المذكور وهذا هو المكتوب عليه : والحقناه بباقي اجزاء الاصل المذكور في التحبيس وحوزناه ليد قيم الخزانة المذكورة . مرآة المحاسن ص 49 .

ويعتبر الامام الصدفي فعلا معلمة من معالم رواة الحديث وحفاظه في العصور الاولى للاسلام ، وقد تيمن مختلف المؤلفين والمؤرخيــن – في القديــم والحديث – بالكلام عن ترجمته وعن سيرته ونزاهتـه ومركـــزه (8) .

ولعل اشمل تعريف واوفاه بالحافظ الصدفي هو ما قام به علمان عظيمان من اعلام التاريخ والحديث ..

ونعني بهما القاضي عياض الذي خصه بكتابــه (المعجم) ضمنه اخباره واخبار شيوخه الذين بلغوا الى نحو مائتي شيخ (9) ... كما نقصد الى المحدث ابن الابار الذي آثره هو الآخر بمعجم ثان من نوع آخر تناول فيه ذكر تلامذة الحافظ الصدفي .

واذا كانت الاقدار قد حرمتنا من معجم عياض عن شيخه (10) ، فانها لحسن الحظ وضعت بين يدينــا المعجم الحافل الذي عنى بجمعه ابن الابار (11) .

وقد ذكر فيه ثلاثمائة وخمس عشرة شخصية من كبار رجال المعرفة كلهم تتلمذوا للحافظ الصدفي .

وان القاء نظرة عاجلة على المعجم تكفي لاخذ فكرة عن تلك « المعلمة » التي تنتسب اليها مخطوطة ابن سعادة، فانها فعلا لائحة طويلة لجمهور عظيم من كبار المفكرين والمحدثين والسياسيين والمسؤولين كانوا في كل مزاياهم مدينين لشرف الاتصال بذلك الرجل الكبير .

ومع ذلك فانه لمن المفيد ان نتلمس اخبار هذا الاستاذ الجليل من خلال بعض المصادر التي عنيت بالحديث عنه وبخاصة مخطوطة الغنيــة للقاضــي عياض (12) مجملين القول ومقتصرين على المهــم : هو القاضي الحافظ ابو علي الحسين بن محمــد بن فيرة (13) بن حيون (14) الصدفي المعـــروف بابن سكـــرة (15) ..

اصله من سرقسطة من قرية على اربعة اميــال منها كانت تعرف بمنزل محمود ، بالثغر الاعلى .

ومولده بحاضرتها في نحو اربـــع وخمسيــن واربعمائة (16) اخذ من شيوخها، ودرس على مقرئيها وسمع من ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وابي محمد ابن فورتش (17) ، وابن الصواف ، وابن سماعة وغيرهـــم .

---

(8) تذكرة الحافظ 4 ص 50 للذهبي – كتاب الصلة لابن بشكوال رقم 327 – بغية الملتمس للضبي – الديباج لابن فرحون ص 108 – نفح الطيب 1 ص 365 للمقري – ازهار الرياض الجزء 3 ص 151 – 152 – 153 – 154 – مرآة المحاسن للفاسي ص 49 – 50 .

(9) الفهـارس المجلــد 2 ص 110 .

(10) عني كثير من العلماء المغاربة بالبحث عن معجم عياض هذا ، وقد ذكر الاستاذ العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى للقرويين في تحقيقه عن الغنية لعياض ، قال ان المعجم لا يوجد على ظهر الارض .

(11) طبع في مدينة مجريط بمطبعة روخس سنة 1885 م وقد حلاه البروفيسور فرانسيسكو كوديــرا بمقدمة مفيدة ، وقد اعاد طبعه بالأوفسيط الاستاذ قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد .

(12) اعتمدنا ثلاث نسخ مخطوطة للغنية ، فيها اثنتان محفوظتان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1732 / د وتحت رقم 1807 / د اما الثالثة فهي ملك خاص للاستاذ عبد الكريم ابن الشيخ العدنـي الحسني من علماء مدينة الرباط ...

(13) بكسر الفاء وتسكين الياء وتشديد الراء Ben Fierro وهاء ساكنة ، ويرى ابن فرحون في الديباج ان هذه الكلمة عجمية وانها تعني الحديد ، و ضبطها بكسر الفاء وكسر الياء مشددة وضم الراء كذلك مشددة ، وربما كتبوها فياره .

(14) حيون مصغر يحيى على نحو ما يقال في سعدو ن وبدرون .

(15) بضم السين وتشديد الكاف مؤنث سكر .

(16) في ابن شنب عند دراسته حول الشخصيات التي تضمنتها اجازة الشيخ عبد القادر الفاسي ان المولد كان سنة 452 (6 بيراير 1060 – 26 ينايـر 1061) .

(17) في ازهار الرياض 3 ص 153 ابو محمد عبد الله بن محمد ابن اسماعيل .

ودرس في بلنسية تحت اشراف ابي العباس العذري (18) .

ثم سمع بالمرية من ابي عبد الله محمد بن سعدون القروي وابي عبد الله ابن المرابط وغيرهما ، وقد رحل الى المشرق فاتح المحرم من سنة احدى وثمانين واربعمائة (27 – مارس 1088) (19) فلقي بقايا شيوخ افريقية بالمهدية ...

ولقي بمصر ابا اسحاق الحبال مسند مصر الذي اعطاه اجازة ، والقاضي ابا الحسن علي بن الحسين الخلعي وابن مشرف وابا العباس احمد بن ابراهيم الرازي وغيرهم ...

كما لقي بالاسكندرية ابا القاسم مهدي بن يوسف الوراق وابا القاسم شعيبا بن سعيد وغيرهما .

كما لقي بمكة ابا عبد الله الحسين بن علي الطبري امام الحرمين وابا بكر الطرطوشي وابا عبد الله الجاحظ وغيرهم .

ولقي بالبصرة ابا القاسم ابن شعبة وابا يعلى المالكي وابا العباس الجرجاني وجماعة اخرى .

وسمع بواسط من ابي المعالي محمد بن عبد السلام الاصبهاني (20) وغيره ، ودخل بغداد يوم الاحد السادس عشر من جمادى الاخيرة لسنة اثنتين وثمانين واربع مائة فاطال الاقامة بها خمس سنين كاملة وسمع من عدد من محدثيها ابي الحسن الطيوري ؛ وابي الفضل احمد بن الحسن ابن خيرون مسند بغداد ، وابن البطر واليانياشي ، وابي محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي وابي الفوارس طرد بن محمد الزينبي، وقاضي القضاة ابي بكران والامام ابي بكر الشاشي وابن فهد العلاف وابن ايوب البزاز ... ودرس الفقه والاصول على الشاشي ، ولقي جماعة من الخراسانيين الحجاج كالامام ابي القاسم بن شافور البلخي، والقاضي ابي محمد الناصحي الرازي ..

واخذ بالانبار عن ابي الحسن بن الاخضر (21) الخطيب ... ثم رحل عنها جمادى الاخيرة سنة سبع وثمانين واربع مائة .

ودخل الشام فسمع بها من الشيخ ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وابن الفرج سهل بن بشر الاسفرايني وغيرهما .

وعندما عاد الى الاندلس في صفر من سنة تسعين واربعمائة 22) (18 – 1 – 97 – 15 – 2 – 997) رحل الناس اليه من كل صوب وكثر الآخذون عنه ...

ثم ارتحل الى مدينة سبتة كرتين فاخذ عنه اذ ذاك جماعة من المشايخ والاصحاب كان من ضمنهم القاضي عياض كما يحكي هو نفسه (23) .

وقد استوطن مدينة مرسية وسمع منه جمهور كبير من الناس كان فيهم من هو في عداد شيوخه ، ومن سمع هو منه ، ذي قبل، كابن داود المقري وغيره، وذلك لمعرفته بعلم الحديث والقيام عليه وحفظه لاسماء الرجال ومعرفته بقويهم من ضعيفهم ، الى ما امتاز به من متانة دين وخلق حسن وصيانة للامانة ..

وقد ولي القضاء بمدينة مرسية سنة خمس وخمسمائة ايام حكم امير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين، فحمدت سيرته وفوتت في الحق شكيمته الى ان استعفي فلم يعف ، وهنا اختفى عن الانظار عددا من الشهور الى ان قبل طلبه بمساعدة عبد الله اللخمي سنة ثمان وخمسمائة (24) فتوفر على ما كان بسبيله

---

(18) ابن شنب رقم 91 .

(19) المقري : ازهار الرياض 151 .

(20) ابن شنب : Ibn Cheneb : Etude sur les personnages mentionnés dans l'Idjaza du Cheikh.

(21) ابن شنب : Ibn Cheneb : Abdelkader El Fassy, 1907.

(22) يذكر ابن شنب ان ذلك تم 470 ويتأكد انه خطأ راجع ازهار الرياض عن رحلته للشرق 3 ص 152 .

(23) كان من تلامذة الصدفي في المشرق الشيخ صابر واخوه ابو المعالي محمد بن يحيى القرشي وابو محمد ابن عيسى وابو علي بن سهل .

(24) ورد لدى ترجمة عياض انه اي عياض رحل من قرطبة الى مرسية فقدمها في غرة صفر سنة 508 وابو علي الصدفي قد استخفى قبل ذلك بأيام ووجد الرحالين اليه قد نفدت نفقات بعضهم وفيهم من ابتدا كتابا لم يتمه فاخذ اكثرهم في الرجوع الى مواطنهم وتربص بعضهم ، فمكث هو بقية صفر وشهر ربيع الاول لا يقع له على خبر سوى الظن بكونه هنالك . ابن الابار : المعجم ص 204 – المعجم رقم 279 – 294 .

من الاسماع والتفقه .. وطلب بعد ذلك لقضاء اشبيلية فامتنع ولم يخرج اليها حتى توفي (25) .

وقد خرج للغزو سنة اربعة عشرة وخمسمائة مع الامير ابي اسحاق ابراهيم ابن يوسف ابن تاشفين وممن كان في الصحبة القاضي أبو عبد الله بن الفرج وحضر يوم قتندة (Cutanda) بالثغر الاعلى يوم الخميس لست بقين في ربيع الآخر من السنة المذكورة (24 ربيع الاول 514 = (23 يونيه 1120) وحقت على المسلمين الدائرة فكانا ممن فقدا رحمهما الله وختم لهما بالشهادة وكان القاضي يومئذ من ابناء الستين (26) . ويحكي القاضي عياض في الغنية انه خرج اليه ذات مرة في المحرم سنة ثمان وخمسمائة فوجده في اختفائه لكنه قصده كرة اخرى فسمع عليه « خيرا كثيرا » على حد قول عياض الذي استرسل يفضل بعض ما سمعه : الصحيحان : البخاري ومسلم والشهاب وكتاب الجامع للترمذي ، وكتاب الشمائل للترمذي كذلك ، وكتاب رياضة المتعلمين للاصبهاني ، وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب الاستدراكات على البخاري ومسلم وهو كتاب التتبع ايضا للدارقطني وكتاب الالزامات له كذلك ، وكتاب الاربعين للاصبهاني والاربعين للحسن بن سفيان وكتاب اوهام الحاكم في المدخل لابن سعيد ، وكتاب مشتبه الشبه وكتاب المؤتلف والمختلف لابن سعد ايضا ، وكتاب الاشارة للباجي ، وكتاب آداب الصحبة للسلفي ، وجزءا عوالي الشريف ابي الفوارس وكتاب أسامي شيوخ البخاري جمع احمد بن عدي ... وكتاب الجرح والتعديل للباجي وكتاب العلل الكبير للدارقطني وكتاب السنن له كذلك وكتاب تلقين المبتدي لابن نصر وكتاب الهداية والارشاد للكلاباذي وكتاب التاريخ للبخاري وشرح ابن الانباري ...

علم من اعلام المعرفة على عهد المرابطين انعكست على آفاقه العلمية كل على تلك اللقاءات التي تمت له مع اقطاب المعرفة في المغرب والمشرق .

ولهذا فان فضله على الثقافة الاسلامية بالديار المغربية والاندلسية امر لا يقبل المناقشة (27) .

وقد ورد في الديباج قال ابو علي الصدفي لبعض الفقهاء : خذ الصحيح فاذكر اي متن اردت تدقيقه اذكر لك سنده ، واي سند اردت اذكر لك متنه ...

وكانت الكرامة المتجلية في حياة الامام الصدفي انه كان مع كثرة مشاغله ووفرة اعماله يعتمد على خط يده هو في كتابة « العلم الكثير » ، وفي كتابة الاجازات العلمية لطلبته التي كان منها ما زكي به نسخة البخاري لابن سعادة التي كانت خزانة القرويين تحتضنها .. ونسخة جامع الترمذي لابي الفضل مبارك التي كانت بخزانة الجامع الاعظم بمدينة تازة (28) .

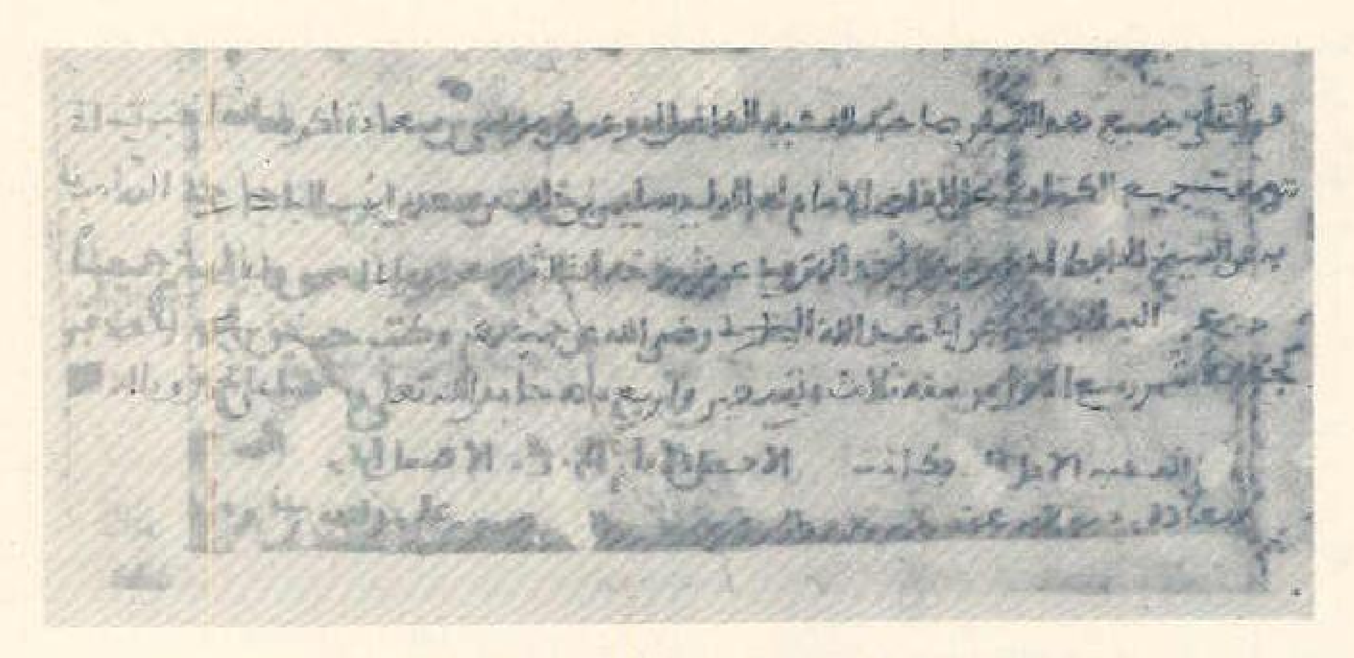
---

(25) كان للحافظ الصدفي مركز موموق جدا لدى دولة المرابطين ، وقد كان استاذا لابي اسحاق ابراهيم ابن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تاعياشت باسم امه التي شيدت بفاس مسجدا كان معروفا باسمها . وقد كان وليا على مرسية من قبل أخيه ابي الحسن علي بن يوسف امير المغرب ، ويروي ابن الابار عن ابي بكر بن ابي ليلى – وكان كاتبا للصدفي – قال : كنت يوما عند القاضي ابي علي الصدفي اذ جاء وزير ابن تاشفين فقال ان الامير ابا اسحاق يريد ان يسمع عليك الحديث ، يعرض له بالمشي اليه ، فقال له : لهذا جلست ! فكرر عليه فاجابه بمثله لكنه لم يلبث بعد الالحاح ان اسعف الطلب وانتقل الى امارة اشبيلية ... وهنا تشفع للامير في رد املاك ابي محمد ابن العربي المعتقلة على ابنه القاضي ابي بكر فتم ذلك كما استقر ابو علي هنالك .. ابن الابار – المعجم رقم (40)

(26) يقول عياض : ما وقفت على خبر الامير ابي اسحاق بعد نكبته عام 515 الا ما ذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخه انه قتل وفل عسكره ، هذا وقد ذكر ان عدد القتلى من المتطوعة في هذه الوقعة عشرون الفا . المقري : الازهار 3 ص 154 .

(27) كان الشيخ الامام مع كل هذا شخصية مرح ونكتة ودعابة ، وقد روى عنه في هذا الباب ان فتى من طلبته اسمه يوسف كان يلازم مجلسه ، نظيف الملبس معطر الرائحة ، غاب لمرض الم به ولما ابل عاد الى المجلس وقبل افضائه اليه سبق اريج ريحه فقال الشيخ : « اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ... ازهار الرياض 3 ر 153 .

(28) الفهارس 2 ر ص 110 – 111 – 112 – 113 .



من خط الحافظ الصدفي على الورقة الاولى من ابن سعادة وفيه :

« قراء على جميع هذا السفر صاحبه الفقيه الفاضل ابو عمران موسى بن سعادة أكرمه الله اخبرته اني — سمعت جميع الكتاب على القاضي الامام ابي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب الباجي رحمه الله اخبرنا — به عن الشيخ الحافظ ابي ذر عبد بن أحمد الهروي عن شيوخه الثلاثة ابي محمد وابي الهيثم جميعا — عن ابي عبد الله الفربري عن ابي عبد الله البخاري رضي الله عن جميعهم وكتب حسين ابن محمد الصدفي — بخطه فى شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وتسعين واربع مائة حامدا الله تعالى مصليا على محمد وآله . »

نسخة الصدفـــــي :

وقد كان مما حرره بخطه الجميل الجيد الضبط صحيح الامام البخاري فى سفر واحد كان يتوفر عليها هو وبها كان يسترشد سائر كبار تلاميذته يعتبـــرون الاهتداء بها من ضروريات الاشتغال بالحديث . . .

وقد حسب الناس ان نسخة الصدفي ضاعـت نهائيا فيما ضاع بسقوط الاندلس ، وغدا الكلام عنها غير ذي موضوع ، ومع ذلك فان احدا من المهتميـن بالحديث الشريف لم يغفل اسم الصدفي والبحث عن تراثه وخاصة من المغاربة الذين يعتبرون روايته على انها الرواية الجديرة بالاعتبار .

وقد اكد الرئيس الشيخ المدني ابن الحسني فى (مسك الختام لصحيح الامام) فى مخطوطته « مفتاح الصحيح » (29) وقوف الحافظ ابن حجر على نسخة الصدفي ونقله من خطه بهوامشها وأورد لفظه فى ذلك من المواضع التي ذكرها من فتح الباري (30) . . .

وقد كان الشيخ المدني فى صدر من ردد صدى اكتشاف بعض المغاربة للنسخة الاصلية التي بخـط الصـــدفـــي (31) .

(29) كان كتاب الشيخ هذا اول اختتام له على صحيح الامام البخاري املاه بمدينة الرباط عام 1341 والكتاب محفوظ فى مكتبة ولد المؤلف الخاصة . ص 12 .

(30) ورد فى رحلتي للناصري والفاسي انهما وقفا معا بخط السخاوي على قوله : ولقد اعتمد على هذه النسخة شيخنا الحافظ بن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه فتح الباري . . . على ما يأتي .

(31) القهاوس — 16 شوال 1346 ، الجزء الثاني ص 110 — الكتاني : التنويه والاشادة بمقام رواية ابن سعـــادة .

ويتعلق الامر بافادة العلامة ابي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي (22) بمناسبة رحلتـه الثانية عام 1211 (1797 – 1798 م) الى البقـاع المقدسة المسماة (الرحلة الصغرى) واجتماعه فى ليبيا بالعلامة الشيخ احمد بوطبل (33) .

قال اثناء كلام له عمن لقيه بطرابلس :

« ... وممن بقي بقيد الحياة ممن كنت اجتمعت به فى الرحلة الاولى الشاب الارضى الدين الخير ابو العباس احمد ابو الطبل به عرف فقام وقعد في الاكرام وهش وبش وكان على ساق فى قضاء اوطارنا وكلفناه بتلقين الورد الناصري بهذه البلاد اذ انعدم بها الملقن بعد ابن مقيل واولاده ، بارك الله فيه ونفعه ونفع به .
ثم قال بعدما انشده قطعة فى (البابقا) ما نصه : ومن الكنوز التي وقفت عليها بيد ابي الطبل المذكور نسخة من صحيح الامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيـل البخاري فى مجلد بخط الحافظ ابي علي الصدفـي شيخ القاضي عياض قال (اشتراها بثمن بخس – فى عدة كتب بمدينة اصطنبول ، وراودته على بيعها عازما على اعطائه مائة دينار ذهبا فيها فامتنع ويابى الله الا ما اراد وما هي الا مضيعة بهذه البلدة وقد كانت تداولتها الايدي بالاندلس ومصر فى سالف القرون ، وعليها من سماعات العلماء عياض ممن دونه الى الحافظ ابن حجر العجب ، وكتب عليها الحافظ السخاوي ما نصه : هي الاصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف اليه ، ولقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ ابو الفضل بن حجر حالة شرحه للجامع الذى سماه فتح البارى . وعليها ايضا ما نصه لكاتبه ابن العطار فى الشيخ الامام الحافظ ابي علي حسين بن محمد بن عيسى الصدفي كاتب هذا البخاري ، وهو شيخ القاضي عياض صاحب كتاب الشفاء رضي الله عنهم .

قد دام بالصدفي العلم منتشـرا
وجل قدر عياض الطاهر السلف

ولا عجيب اذا ابـدى لنـا دررا
ما الدر مظهره الا من الصدفـي

وقلت ايضا فى سيدنا ومولانا قاضي القضـاة برهان الدين ابن جماعة الكناني الشافعي أدام الله أيامه واعز احكامه وقد حملت له هذه النسخة لمجلسـه بالصالحية فى العشر الاول من رجب الفرد سنة اثنتين وثمانمائة فنظر فيها وقال :

لو كتبت واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت احسن فان كاتبها رجل جليل القدر رضي الله عنـه :

راى البخاري بخط الحافظ الصدفي
قاضي القضاة امام النيل والسلـف

(32) قال الكوهن فى فهرسته لدى ترجمة شيخه الطيب بن كيران : واجازة حسبما اخبرني بـه بعض الثقات خاتمة الحفاظ بالديار المغربية الامام المحدث ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد السـلام الناصري الدرعي المتوفي شهر صفر عام 1339 وقال فى طلعة المشتري : كان علامة اديبا فقيهـا محدثا حافظا فاضلا لم يات بعد الشيخين فى آل ناصر من هو اعلم منه ، قرا بفاس على شيوخهـا كالشيخ جسوس والشيخ التاودي والشيخ بناني والحافظ العراقي وابي العباس الشرايبي والفقيه السجلماسي ، عباس بن ابراهيم التعارجي : تاريخ مراكش الجزء 5 ص 189 . عبد الهادي التازي : ليبيا لدى الرحالة المغاربة مجلة المجمع العلمي العراقـي 1970 ص 10 .

(33) هو ابو العباس احمد بن ابن زيد عبد الرحمن بن ابي طبل الطرابلسي من شيوخ سيدي محمد بن علي السنوسي على ما ورد فى اجازة الطريقة السنوسية ونعته صاحب الفهارس بالامام المسند المعمـر المعروف بالطبولي الضرير يروي عن محمد بن محمد الصادق ابن ريسون وعمر بن علي الحسانـي الطرابلسي ، والصعيدي والحفني والدردير ومرتضى الزبيدي والدسوقي ومحمد الكانمي وغيرهـم وممن اخذ عنه الفقيه السيد حسين المدعو حسونة ابن محمد بن الحاج حسونة الدغيسي الازروملـي الطرابلسي الحنفي الوارد على فاس سنة 1246 والمتوفي باسطامبول عام 1258 .
وقد توفى سنة 1254 تقريبا والطبول – قبيلة من قبائل اورقلة اولاد محمد ابي طبل المتوفى سنـة 987 والمدفون بورقلة بوادي ابن وليد وكان من اصحاب الشيخ عبد السلام الاسمـر . الفهارس للكتاني جزء 1 ص 353 – الطاهر الزاوي – اعلام ليبيا ص 29 – 308 – اجازة الطريقة السنوسية ص 29 .

جمال واسطة العقد الثمين لـــه
ولا عجيب بميل الدر للصـــدف

اهـ . قال مقيد الرحلة سامحه الله : وقد قلت في ذلك وان لم اكن هنالك :

هذا سماع الامام الحافظ الصدفي
بخطه وعليه رونق الصـــدف

تداولته يد الحفاظ من خلـــف
عن سالف فرماه الدهر بالتلـــف !

وموجب قول ابن جماعة ما ذكر ان خط الصدفي اندلوسي (كذا) رقيق غير منقوط الا انه يشكل المشكل على عادته وعادة بعض الكتاب ، نعم عليها تصحيحات واختلاف الروايات ورموز وتخريجات لا ينتفع بها الا الماهر فى الفن المتدرب على الروايات انتهى بلفظـــه ومن خطه المبارك (34) .

وبعد تسجيل هذا الحديث عن مخطوطة الصدفي في (رحلته الصغرى) عاد ابن عبد السلام الناصري فى مخطوطته المعنونة بكتاب المزايا فيما حدث مـــن البدع بأم الزوايا (35) .

وقد افادنا الشيخ الناصري في هذا النص ان الغيرة حملته على ان لا يسمح بترك هذا التراث الكبير ضائعا فى طرابلس وان يخبر بوجوده السلطان المولى سليمان عاهل المملكة المغربية المعروف بهرابته لنوادر المخطوطات ... قال :

« ... ولقد عثرت على أصل شيخه (اي شيخ ابن سعادة) الحافظ الصدفي الذي طاف به البلاد ، بخطه بطرابلس فى جزء واحد مدموج لا نقط به اصلا على عادة الصدفي وبعض الكتاب الا ان بالهامش فيـــه كثرة اختلاف الروايات والرمز عليها وفي آخره سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه وفي اوله كتابة ابـــن جماعة الكناني والحافظ الدمياطـــي وابن العطـــار والسخاوي قائلا : هذا الاصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني وبنى عليه شرحه الفتح واعتمـــد عليه لانه طيف به في مشـــارق الارض ومغاربهـــا : الحرمين ومصر والشام والعراق والمغـــرب فكـــان الاولى بالاعتماد كرواية تلميذه ابن سعادة . ولقد بذلت لمن اشتراه ـــ في عدة كتب ، من اهل طرابلس المغرب من اصطنبول بثمن تافه ـــ صرة ذهب فابى من بيعـــه وبقي ضائعا في ذلك القطر ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم حملتني الغيرة والمحبة على ان ابلغت خبره لامامنا المنصور ابي الربيع سيدنا سليمان بن محمد ادام الله ملكه وانجح أمره ، فوجه اليه حسبما شافهنـــي به ، الف مثقال او ريال ، الشك مني ، فاجابه من هو بيده: **انه يقدم به لحضرته (36) وما منعه الا فتنة الترك فيما بين تونس والجزائر ..** (37) ثم لما طال الامر اعـــاد الكتب بذلك ، والى الآن لم يظفره الله به ولقد داعبته ذات مرة قائلا : على سماع الصدفي المذكور : وماذا لمبلغ هذه الخصلة ؟ فوعدني ـــ ووعد الملوك تحقيق ـــ انه ان ظفر به جردمته فرعا واعطاني احدهمـــا على اختياري ! وكان من مدح ابن العطار له عليه بخطـــه ما نصـــه :

قد دام بالصدفي العلم منتشرا ＊ البيتيـــن

قال ابن العطار : وقلت ايضا في سيدنا ومولانا قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة الكناني الشافعي ادام الله ايامه واعز احكامه وقد حملت هذه النسخة لمجلســه بالصالحية في العشر الاول من رجب الفرد سنة اثنين وثمانمائة ، فنظر اليها وقال : لو كتبـــت

(34) عباس بن ابراهيم ـــ تاريخ مراكش 5 و ص 189 .
(35) اعتمدت على النسخة التي توجد في ملك الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط ، وقد اورد هذا الكلام عند ذكر البدعة الثالثة عشرة ص 28 ـــ 29 .
(36) يظهر من هذا النص ان السلطان المولى سليمان تملك النسخة المشار اليها من صاحبها بعد دفـــع الثمن وانه لم يبق الا التحويز الذي منعت منه الاشتباكات الجزائرية التونسية .
(37) كان الباشا علي باي يتجرع من ولاة الجزائر ما يستفزه ولما توفى علي باي وتولى ابنه البـــاي حمودة باشا ارادوا ايضا استفزازه فلم يحتمل الضيم فعزم على حربهم بعد سنة 1216 ، وفي هذه المـــدة احتبس الغيث فوجه بابي اسحاق ابراهيم الرياحي سفيرا الى السلطان مولاي سليمان سنة 1218 ، وبعد التجاء الحاج مصطفى انقليز الى تونس اشتدت الازمة وسافرت المحلة لقسنطينة يوم الســبت 15 قعدة سنة 1221 (24 يناير 1807) ابن ابي الضياف : ج الثالث ص 37 .

نسخة واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت احسن ، وقال اليها ، فان كاتبها رجل جليل القدر :

راى البخاري بخط الحافظ الصدفي ※ البيتين

قال مقيده عفا الله عنه : وقلت انا فى ذلك وان لم اكن من اولئك :

هذا سماع الامام الحافظ الصدفي ※ البيتين

وممن افاض فى وصف هذه النسخة الفقيه المدرس ابو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن الشيخ ابى محمد عبد القادر الفاسي فى رحلته الحجازية بتاريخ 1211 فقد ورد فيها ما نصه (38) ابتداء من صفحة 316 الى 324 .

قال : وقفت بمحروسة طرابلس ، صانها الله تعالى ، على نسخة من البخاري فى سفر واحد) نحو من ستة عشر كراسة ، وفى كل ورقة خمسون (39) سطرا من كل جهة ، وكلها مكتوبة بالسواد لا حمرة بها اصلا ، وهي مبتداة بما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه ، كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند تمام كل حديث صورة هـ ولا نقط بها الا ما قل جدا ، وبآخرها عند التمام ما صورته :

آخر الجامع الصحيح الذي صنفه أبو عبد الله البخاري رحمه الله ، والحمد لله على ما من به ، واياه اسأل ان ينفع به . وكتبه حسين بن محمد الصدفي من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود مقروءة على ابي ذر رحمه الله وعليها خطه ، وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة الحادي والعشرين من المحرم عام ثمانية وخمسمائة والحمد لله كثيرا كما هو اهله وصلواته على محمد نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

وعلى ظهرها كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه ، تصنيف ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري رضي الله عنه ، رواية ابي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عنه رحمه الله لحسين بن محمد الصدفي .

اوقفني على هذه النسخة المباركة محبنا الفقيه الناسك ذو الاخلاق الحسنة سيدي الحاج احمد بوطبل ، وذكر لي حفظه الله انه اشتراها من اصطنبول، وحيث اشتراها اجتمع علماؤها وقالوا له : اخليت اسطنبول ! ومكتوب على ظهر هذه النسخة المباركة ما نصه :

للامام قاضي القضاء ابي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان . . . مصنف . . .

جميع احاديث الصحيح الذي روى ※ البخاري خمسة وسبعون في العد
وسبعة آلاف تضاف وما مضى ※ الى مائتين عد ذلك اولو الجد (40)

وبعد البيتين المذكورين اجازة الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن عبد الكريم بن الحسين ابن رزين ، وعليها اجازات اخرى لكثير من الشيوخ المعتبرين ، ونص بعضها :

قرا جميع هذا الكتاب الجامع على الفقيه الاجل الحافظ الامام ابي علي حسين بن محمد الصدفي رضي الله عنه محمد بن اسماعيل بن حسين الجمحي ، وكان الفراغ منه في عقب ربيع الاول من سنة عشرة وخمسمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم . وعليها ايضا اجازة الصدفي المذكور للقاضي عياض فى جملة من الفقهاء بسماعهم له فى المسجد الجامع بمرسية ، وعليها ايضا ما صورته بخط جيد فى غاية الاتقان .

الحمد لله قرات بعض هذا الجامع الصحيح للامام ابي عبد الله البخاري رضي الله عنه على الخطيب

(38) اعتمدت على نسخة للمؤلف فى ملك الاستاذ السيد محمد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى التازي – ليبيا لدى الرحالة المغاربة ، مجلة المجمع العلمي العراقي 1970 .

(39) لا ننسى ان نسخة ابن سعادة تحتوي كل ورقة فيها على اثنين وعشرين سطرا فقط .

(40) فى الصفوة لدى ترجمة ابي مهدي الثعالبي (رخ) حول عدد احاديث البخاري ما نصه :

وعده احاديث البخاري خالصا ※ من العود والتكرار الفان مع خلف
وزد عشرة من بعدها وثلاثة ※ اضفها اليها تنج من شبه الخلف

الصالح الامام ابي جعفر احمد بن ولي الله الخطيب الصالح الامام العالم الزاهد ابي عبد الله محمد بن ابي جعفر احمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ، وحدثني به ابقاه الله عن جده الامام ابي جعفر المذكور اجازة عن الامام ابي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة الشاطبي (41) وابي الخطاب بن واجب عن الامام ابي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة الرابع عشر ممن تسمى فى الطبقة الثانية ، بخط ابي عامر ابن المستعين بالله عبد الرحمن بن احمد بن هود ، تحته بسماع ابن سعادة على الامام كاتب هذا الاصل ابي علي الصدفي بسنده فيه واجاز رضي الله عنه لي ولبني الثلاثة أحمد وشقيقه محمد ومحمد المكي يلي ؟ القاسم — وفقهم الله جميع ما تجوز لي روايته بشرطه . وهذا السند من هذا الطريق اعلى ما يوجد اليوم على وجه الارض ولله الحمد ، وتناولته من يده رضي الله عنه وذلك بمدينة غرناطة المحروسة فى الثامن لجمادى الاولى عام اربعة وخمسين وسبعمائة وكتب محمد بن احمدبن محمد ابن مرزوق التلمساني ، وبعده : ما ذكر من القراءة والاجازة والمناولة صحيح كما ذكر، وخطه سطر ؟ وكتب احمد بن محمد بن احمد الهاشمي الطنجالي ، وفي تاريخه .

وعلى ظهرها ايضا : هذه النسخة جميعها بخط الامام ابي علي الحسين بن محمد الصدفي شيخ القاضي عياض وهي اصل سماع القاضي عياض عليه كما تراه فى الطبقة المبينة فى الورقة المقابلة (42) لهذه وهي الاصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف اليه ولقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ ابو الفضل ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه (فتح الباري) والله الموفق .

وعلى ظهرها ايضا بخط حسن لكاتبه ابن العطار فى الشيخ الامام الحافظ ابي علي حسين بن محمد بن عيسى الصدفي كاتب هذا البخاري وهو شيخ القاضي عياض صاحب كتاب الشفا رضي الله عنهم أجمعين .

قد دام بالصدفي العلم منتشرا ※ البيتين

وقلت ايضا فى سيدنا ومولانا قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة الكناني الشافعي ادام الله ايامه واعز احكامه وقد حملت اليه هذه النسخة لمجلس حكمه بالصالحية فى العشر الاوائل من شهر رجب الفرد سنة اثنتين (43) فنظر فيها وقال لو كتبت نسخة واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت احسن ، ومال اليها ، فان كاتبها رجل جليل القدر رضي الله عنه .

راى البخاري بخط الحافظ الصدقي ※ البيتين

وكان وقوع هذين البيتين ارتجالا بالمجلس بحضرة الشيخ سالم الاسكندري لا غير .. (44) الدين محمد بن قاسم حاجبه ، وعبده فرح رقيق ياقوت رضي الله عنهم وغفر لنا ولهم ولوالدينا ووالديهم ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ، الى غير ذلك من الاجازات وخطوط الاشياخ والكتابات يعلم ذلك من يقف على النسخة المذكورة كما وقفت عليها ولله الحمد بدءا وعودا .

ومن جملة ما سطر بآخرها بعد كتابات بخط الصدفي المذكور ما صورته :

الحمد لله ترجمة الامام الصدفي كاتب هذه النسخة : هو الحسين ابن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة الحافظ أبو علي الصدفي السرقسطي الاندلسي ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، وابن العديم فى تاريخ حلب وابن النجار فى تاريخ بغداد والقاضي عياض فى مشيخته والذهبي فى الحفاظ وتاريخ الاسلام ، وابن بشكوال فى الصلة وابن فرحون فى الطراز المذهب وغيرهم وانه كان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله ورجاله بصيرا بالجرح والتعديل مليح الخط جيد

---

(41) وجد على هامش المخطوطة طرة هكذا : هذا هو التحقيق فى هذا السند لا كما زعم بعضهم من سقوط ابن سعادة الاول . قاله ابن مرزوق . تم ما وجد .

(42) فى الهامش طرة هكذا : اشارة الى اجازته المشار اليها قبل . . .

(43) فى الهامش : طرة (لم يدر) وقد علمت انها سنة ثمانمائة من نقل الناصري .

(44) فى الطرة : اكلته الارضة .

الضبط كثير الكتابة حافظا لمصنفات الحديث ذاكرا لمتونها – وأسانيدها قائما على الصحيحين وجامع ابن عيسى الترمذي (45) مات شهيدا في ربيع الاول من سنة اربعة عشر وخمسمائة وبآخرها ايضا بخط الصدفي المذكور التعريف بالبخاري وذكر بعض فضائله رضي الله عنه (46) .

— • —

لقد عرفنا – من خلال نقول الرحالة – كيف انتقلت مخطوطة الحافظ الصدفي من اسطنبول الى طرابلس ، ويبقى علينا ان نعرف كيف تم انتقالها من الاندلس الى بلاد العثمانيين .

نعتقد ان هناك مرحلة اخرى قطعتها المخطوطة .

فلقد وصل الكتاب من الاندلس الى المغرب والى مدينة فاس بالذات وهناك قضى ردحا من الزمان على ما يظهر قبل ان يتحول الى اسطنبول .

وهكذا فكما كان الشأن في عدد من المخطوطات التي حملت الى العاصمة سواء بطريق الفداء او طريق المجاملة ، كان الشأن كذلك في كتاب الصدفي .

لقد ظل هم الملوك المغاربة مركزا على انقاذ ما يمكن انقاذه من ذلك التراث الذي وقع بأيدي القشتاليين .

قرأنا عن الثلاثة عشر حملا من انفس الكتب بما فيها « كتب الحديث » التي اهداها (صانش) الى العاهل المغربي يعقوب بن عبد الحق المريني بمناسبة هدنة 15 ربيع الاول عام 684 (47) .

وقرأنا عن سفارات السلطان المولى اسماعيل لملك اسبانيا من اجل الحصول على اكبر عدد ممكن من مخطوطاتنا الاسيرة هناك (48) .

ولهذا فلا يبعد ان تكون لكل تلك المساعي علاقة بوجود الكتاب بفاس بالذات .

على ان هناك مسلكا آخر يمكن ان يكون الكتاب اخذه في الالتحاق بالمغرب وهو الطريق العائلي ، فنحن نعلم انه توجد بفاس منذ القرن السادس الهجري اسرة تحمل اسم (ابن حيون الصدفي) وقد اشتهرت من بينهم شخصية كبيرة هو ابو مروان عبد الملك بن حيون (ت 599) الذي كان يسكن بدرب شرقي جامع القرويين ، هذا الدرب كان يحمل اسم درب الغماري لكنه لم يلبث ان اصبح منسوبا لابن حيون كما عرف منهم القاضي الحيوني (ت 687) قاضي فاس المشرف على القرويين (49) .

وقد اشتهر ابن حيون بالاعمال الاحسانية الكبرى وبأياديه الكبرى على جامع القرويين (50) .

---

(45) هناك طرة : كان رحمه الله له مصنفات جليلة واكره على القضاء فوليه ثم اختفى حتى اعفى واستشهد

(46) يذكر الفاسي ايضا : واوقفني سيدي الحاج احمد المذكور ايضا على اختصار الفتوحات المكية للشيخ ابن عربي الحاتمي في اجزاء احدهما بخطه رضي الله عنه وعنا به ، واوقفني ايضا ، حفظه الله وجزاه عني خيرا ، على خط الفخر الرازي وتبركت بالجميع وتمسحت به سائر جسدي حقق الله آمالنا وودت ان لو لقيته عند قدومنا على محروسة طرابلس لاشفي بعض الغليل بالكتب التي عنده فان له ولوعا بالكتب ولم يقض الله بملاقاته الا عند عزمنا على السفر من طرابلس والله يفعل ما يشاء.

(47) ابن خلدون : ج 7 ص 21 – الاستقصا 3 د ص 62 – 63 .

(48) ابن زيدان : الاتحاف 2 ص 64 – 65 .

(49) يؤثر عنه انه عطل اسراج الثريا الكبرى تقشفا وقال : اننا لا نعبد النار وانما نعبد الله . القرطاس – طبعة فاس ص 42 .

(50) اسرة ابن حيون الموجودة الى الآن تحمل كذلك لقب الصدفي حسبما اوقفني عليه الاخ الاستاذ قاسم ابن حيون في الرسوم القديمة ، وقد اكد كتاب (بيوتات فاس في القديم) ان درب بن حيون ينسب لابن حيون الذي حبس الرباع على جامع القرويين وغيرها .. وهو اندلسي من اسرة العلامة الحافظ حسين بن فيره الصدفي شيخ القاضي عياض .. وقد دفن بسار المار من زقاق الماء بباب عجيسة ... التازي : تاريخ جامع القرويين الكبير .

ومن المعقول جدا ان تكون المخطوطة قد صارت الى بنت الشيخ الحافظ خديجة (51) سيما وقد كانت على جانب كبير من الاعتزاز بتراث والدها، وربما يكون الكتاب قد انتقل لفاس بواسطة احد السادة من الذين لهم صلة بالسيدة الصالحة : ابنها مثلا (52) .

ومن فاس انتقلت الى اسطانبول عن طريق وفادة علمية او سفارة سياسية ، فقد كان هناك جسر يربط بين المغرب وبين الآستانة وبخاصة ايام السعديين .

ولهذا فمن المحتمل ان ينقل الكتاب للعثمانيين بطريق ما من الطرق .

وامامنا عدة امثلة لمثل هذه التنقلات التي تمت اواخر السعديين فقد ورد المستشرق كوليوس (1032 هـ) ضمن بعثة هولاندية ايام السلطان زيدان، فكانت له فرصة لاقتناء عدد من المخطوطات الثمينة كان منها كتاب ابن بكلاوش يوسف ابن اسحاق في الطب الذي الفه حوالي (500 هـ) للمستعين بالله بن محمد ابن هود والذي ما تزال شذرات منه بخزانة القرويين الى الان بعنوان (المستعيني) ، وكان منها تاريخ ابن صاحب الصلاة المؤلف اواخر القرن السادس الذي لا يوجد منه على ظهر الدنيا – فيما نعلم – الا نسخة واحدة في مكتبة اكسفورد (53) .

فهل نستغرب بعد هذا انتقال المخطوطات من بعض الجهات الى البعض الآخر ؟

— ✦ —

ومنذ صدور تلك الافادات عام 1211 انقطعت الاخبار عن مخطوطة الصدفي .. وهكذا لم تكن هناك من نتيجة تذكر للبذل الذي قدمه السلطان المولى سليمان الى الشيخ ابي العباس احمد بوطيل .

ولا بد ان يكون الاستاذ الامام محمد ابن السنوسي (54) (ت 1276 هـ) قد سمع بحديث المخطوطة عندما كان مقيما بمدينة فاس طالبا للعلم فيما بين عام 1236 – 1245 ومتصلا برجالات الدولة

(51) ترجمها ابن الابار في تكملة الصلة ص 747 هكذا : خديجة بنت ابي علي الصدفي نشأت صالحة زاهدة حافظة للقرآن وتذكر كثيرا من الحديث ، تكتب وتطالع .. تزوجها صاحب الصلاة بمرسية عبد الله بن موسى بن برطلة فولدت له ابا بكر عبد الرحمن وغيره وتوفيت بعد التسعين وخمسمائة وقد نيفت على الثمانين .. وكلمة صاحب الصلاة تعني وزير الاوقاف ، وقد احتفظت اللغة الاسبانية بالكلمة (Zabazala) ابن الابار : معجم اصحاب الصدفي ص 226 .
ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة نشر عبد الهادي التازي ، بيروت 1964 ص 16 .

(52) ترجم ابن الابار لابن برطلة زوج خديجة مذكرا انه من تلامذة الصدفي وانه رحل عام 510 لاداء فريضة الحج سمع بالاسكندرية من ابي عبد الله الرازي وابي الحسن بن مشرف وابي بكر الطرطوشي وابي طاهر السلفي ، كان من اهل النباهة والنزاهة ، انجب مع بنت الشيخ ابنه ابا بكر عبد الرحمن .. المعجم ص 226 رقم 206 .

(53) التازي : تاريخ القرويين (الكبير) ، دراسة حول تاريخ المن . مجلة المجمع العلمي العراقي 1964 ص 248 – 249 .

(54) ابو عبد الله محمد بن علي المعروف في مسقط راسه بابن السنوسي قائد الطريقة السنوسية ، ولد بمستغانم (الجزائر) ولم يلبث ان التحق بفاس من عام 1236 الى 1245 حيث اخذ يدرس بجامعة القرويين على علمائها الاعلام ، وقد تصوف على يد القطب الشيخ عبد الوهاب التازي واخذ عن الشيخ ابن ادريس كما اخذ بمدينة سلا عن الشيخ احمد السدراتي ، ومولاي العربي الدرقاوي ، واجازه من علمائها الشيخ حمدون بن الحاج والشيخ عبد الرحمن العراقي ، ثم رحل الى المشرق ولكنه ظل على صلة برجال القرويين من فاس يجيزهم ويستجيزهم ، واقام اخيرا في الجبل الاخضر برقة (ليبيا) حيث كان له الفضل الاكبر في تصفية النفوس وتوحيد الصفوف لمقارعة الاجنبي ، له عدة مؤلفات ، ادركه اجله بواحة الجغبوب على مقربة من طبرق ، وله فيها مشهد جلبت ابوابه من كابل بافغانستان دفن معه فيه ابنه محمد الشريف ، اما ولده الثاني المهدي والد الادريس فقد دفن في الكفرة . شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامي 1 ر 277 – دائرة المعارف الاسلامية ج 12 فهرس الفهارس 2 ر 374 – 375 . ص 292 عبد الهادي التازي : امير مغربي في ليبيا .

الذين كان على رأسهم الملك العالم العامل أبو الربيع سليمـــان (55) .

ويظهر لي ان اسم الشيخ بوطبل عرف من لدن ابن السنوسي في فاس قبل ان يتلمذ عليه عند اختياره المقـــام في ليبيـــا .

وانا على مثل اليقين من ان تعرف الامـــام ابن السنوسي على شيخ طرابلس كان فرصة ثمينة مكنت الامام من حيازة المخطوطة سيما وقد عرف عنه ولوعه الزائد بجمع الكتب ، وخاصة منها كتب الحديـــث ، وانتساخها واقتنائها من الاماكن البعيدة حسبما يدل على ذلك ما تبقى من خزانته العظيمة التي تحتضنهـــا اليوم واحة الجغبـــوب (56) .

بيد ان الذي ضاعف من سوء ظـــن المهتميـــن والباحثين ما تعرضت له الاراضي الليبية من غـــزو اجنبي متلاحق ماحق اتى على معالمها وقضـــى على ملامحها واضطر معه بعض القادة السنوسييـــن الى هجرة البلاد في اعقاب نضال طويل مرير .

ولما احتل الطليان مدينة طرابلس عام 1329 هـ (57) (1911 م) تقدم للجهاد على راس المؤمنين الشيـــخ الماجد السيد احمد الشريف بن محمد الشريف ابن سيدي محمد السنوسي (58) وكانت منازلات شديدة بين الفريقين لا لين فيها ولا هوادة .

وقد كان كتاب الصدفي لا يفارق المجاهدين في حلهم وترحالهم يتبركون به ويتيمنون ويرجعونه الى مكتبته بعد اداء واجبهم .

وفي يوم من تلك الايام اشتدت حملات الطليان على البلاد وتقدموا بخطواتهم الى قلب المدينة حيث اخرجوا جميع ما في المكتبة من المخطوطات وجمعوا بعضها على بعض وكان من ضمنها كتاب ابن سكرة ، وبينما الجند في نشوة من نصرهم يتهيأون لالهـــاب النار اذا بالمؤمنين يكرون عليهم كرة افسدت عليهـــم خططهم وقذفت بهم بعيدا الى الوراء وكان ان انقذ الله طرابلـــس بسبب الغيرة على هذا التراث !

ولما وقعت ليبيا اخيرا امام تحالـــف القـــوى الاوربية الخارجية اصبح من المؤكد ان نسخة الحافظ الصدفي لقيت حتفها ، فاما ان تكون قد ضاعت فيما ضاع من آثار واما ان تكون انتقلت الى احدى المكتبات الاوربية في عداد التحف المنهوبة .

لكن اشارة وردت على مدينة فاس بواسطة احد طلبتها الذين تم لهم لقاء بالمشرق مع السيد احمـــد الشريف السنوسي ، تبشر تلك الاشارة بأن « الاصل المذكور بخط الصدفي موجود ضمن كتب السيـــد المشار اليه .. واكدت هذه الاشارة رسالة بخط يده تذكر بالحرف « ان نسخة البخاري التي بخط الصدفي عندي في الكتب التي بجغبوب يحفظها الله » (59) .

— ◆ —

لا اذكر بأي نية ذيلت مقيداتي حول هذه النسخة المنشودة في يوم من ايام ثاني الاشهر الحـــرم (23 شعبان 1376 هـ الموافق 25 مارس 1957 م) ؛ لا ادري كيف ذيلتها بهذه الكلمة « زر الجغبوب » ! هل كنت انوي! حقا زيارة الجغبوب ؟ ام انه كان تعبيـــرا يوحي بأن الموضوع انتهى . !

وحينما اخذت ــ بعد عشر سنوات ــ استعـــد لاختيار ما يصحبني من اوراق ووثائق وذلك عندمـــا

(55) احسان عباس : الحركة السنوسية ص 50 .

(56) من ذلك انه لما سمع بأن قاضي فاس ابا محمد عبد الهادي بن عبد الله العلوي شرح تيسيـــر ابن الديبع : (تيسير الوصول الى جامع الاصول في مجلدين لابن الديبع حافظ اليمن ومؤرخه) كتب له عليه حتى نسخ له ... وقد كان مكتوب ابن السنوسي ما يزال بيد ابنه مولاي ادريس عندما الف صاحب فهرس الفهارس كتابه ، المجلد الثالث ص 309 .

(57) الزاوي ــ اعلام ليبيا ص 35 .

(58) احمد الشريف هذا ولد بالجغبوب ليلة الاربعاء 27 شوال سنة 1290 هـ (1873 م) مجاهد مناضل لا تقرع له قناة .. وقد هاجر الى المدينة المنورة فتوفي بالمدينة المنورة بتاريخ 14 قعدة عام 1351هـ (11 مارس 1933) وصلى عليه صلاة الغائب بفاس من طرف الوطنيين المغاربة يوم الجمعة ثانـــي محرم 1352 موافق 28 ابريل ، وقد حضرت هذه الصلاة غلاما مع والدي .

(59) فهرس الفهارس 2 ص 110 ــ 111 .

حظيت بشرف تمثيل بلادي بتلك الديار كان فى صدر ما حملته تلك التقاليد . . .

وفى اثناء حديث خاص مع الملك الادريسي ابن المهدي بمدينة طبرق صيف 1967 وحديث آخر معه فى ربيع 1968 بمزوعته فى ضواحي طرابلس تكرر الحديث حول مخطوطة الحافظ الصدفي التى ظللت اعتبرها راجعة للخزانة الملكية المغربية .

وقد شعرت برغبة العاهل الملحة فى ان يتمكن من استجلاء الحقيقة حول الكتاب المذكور ، وتفضل فوجه الدعوة الي لزيارة الجغبوب للوقوف على الخزانة العلمية وكنت منذ اتصالاتي الاولى برجالات العلم فى البلاد لا افتا مرددا حديث هذا المخطوط .

وفى هذا الصدد قمت بزيارات متكررة الى مكتبة الاوقاف ومكتبات اخرى كان فيها ما هو خاص باصحابه

وقد جمعتني الصدفة يوما باحد المشايخ من اهل الفضل وطيب المعشر ، وكان ذلك يوم 27 مارس 68 بطرابلس ، فعلق لي على الاستفسار بان اكد انه يعرف وجود الكتاب فى الجغبوب فعلا ، وانه كان قبل ذلك بخزانة الاوقاف بطرابلس . . .

وكان هذا مما شجع الرغبة الى التفكير فى القيام بزيارة (الواحة) سيما بعد ان يئست من الحصول على المنشود بالعاصمة . . .

وقد وصلتها يوم الاحد 22 ابريل 1968 (60) وكانت فرصة نادرة بالنسبة الي ان اقف على هذه المجموعة المهمة من المخطوطات التي يتناول اكثرها علوم التفسير والحديث والنحو والفقه ، كما كان فيها ايضا جانب يتعلق بالطب والتوقيت والتاريخ (61) .

---

(60) جريدة (الرائد) الطرابلسية بتاريخ 26 أبريل 1968 – جريدة طرابلس الغرب 12 – 8 – 68 19 .

(61) كانت جولة ممتعة فى هذه الدواليب الثمانية ، وفى الصناديق الاخرى .. وان اول ما يثير الانتباه حقا ان خمسة وسبعين فى المائة منها بخط مغربي ، وان جل تلك المخطوطات ان لم اقل كلها لا بد ان تجد فيه تحشية او توقيفا بخط الامام السنوسي رحمه الله ، ومعظمها وضع عليه ختمه : « فيض الفتح القدوسي السيد محمد بن السيد علي ابن السنوسي » وفيها ما كان بالزاوية الصحابية بمدينة درنة : وقفت هنا على مخطوطة لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المقري بعنوان كتاب البدور فى تراجم الكتب ، وكتاب مجمع البحرين تاليف الشيخ القتني ، والثالث من كتاب عارضة الاحوذي لابن العربي ، ورحلة العياشي فى مجلد واحد ، وقد استرعت بعض المقاطع اللطيفة فيها نظر الامام السنوسي مثل تكارم اهل مصر فيما بينهم بشراب البن اي القهوة التي ليست بطعام ولا بدواء ولا شهوة !! ، وشرح لطيف للشيخ الدليمي الشهير بالوزازي على الرقاق .. وفتوى الشيخ علي التسولي عن حكم من دخل تحت الذمة الكافرة ، وفتوى ابي عبد الله بن قطية عن سؤال فى حكم الهجرة من الارض التي تغلب عليها الكافر ، وكتاب اجلاء اليهود الفاجرة لابن ابي الرجال ، وصرف الهمة فى تحقيق معنى الذمة ، والنصف الاول من الذخيرة للقرافي ، وعيون البصائر على الاشباه والنظائر فى الفقه الحنفي ، وفيها مخطوطات متعددة للشيخ زروق ، وفى الكتب (طرد الضوال والهمل عن الكروع فى حياض مسائل من العمل لعبد الله بن ابراهيم العلوي وهو بخط الشيخ محمد المختار بن الامين بن المختار بن سيد الامين ، وبعضها بالفارسية حول التصوف ، وفيها الامالي لثعلب ، ومخطوطة تتضمن الجواب عن خمسة اسئلة لابي الحسن بن عبد الستار البغدادي الخضار نزيل الحجاز على سبيل المجاز .. ومن المخطوطات المعتنى بها الدرر المرصعة باخبار اعيان درعة لسيدي محمد بن موسى بن محمد الناصري الدرعي ، وقد استهل بذكر نسب السلطان المولى اسماعيل ... ومجموع يتضمن بعض تآليف سيدي احمد بن ادريس كرسالته كيميا اليقين وتفسيره للضحى وسورة الم نشرح ولسورة التين والزيتون وشرحه لحديث (المعرفة راس مالي ...) وهنا رسالة تاريخية مقحمة ضمن مجموع شرح المعلقات من النساخ الوسطي لا انشاها الى خليفة بغداد الملقب بالناصر لدين الله احمد بن الحسن يحثه على ارسال العساكر الى اليمن لحرب الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، وذكر فيها شيئا من مناقب الامام علي .

ومناقب شهد العدو بفضلها ❋ والحق ما شهدت به الاعداء =

وقد كان علي ان اتصفح زهاء الالف مخطوط بحثا عن ابن سكرة شيخ ابن سعادة ! هذه النسخة الفريدة من صحيح الامام البخاري التي كان السلطان المقدس مولانا سليمان تاق للحصول عليها بالشراء من حاضرة طرابلس والتي اجمعت المصادر على انها لا تقدر بثمن .

كانت ساعات متواصلة في العمل وكانت في البداية ملذة الا انها في الاخير اخذت تثاقل عندما اوشكت على النهاية ولم اعثر على كتاب للصدفي .

وبعد كثير من السؤال وبعد كثير من البحث طلبت الوقوف على اوراق توجد في درج كانت تتعلق بسير المكتبة ، وهكذا زودني الشيخ ... بوصل كان فيه كل ما كنت ارجوه لانه وضع اصابعي على المفتاح ..

لقد علمت منه ان النسخة استعيرت منذ 18 شتنبر من سنة 1956 بمناسبة الذكرى المائة لوفاة الامام ابن السنوسي دعى الى مهرجان كبير حضره رجال العلم من معظم الجهات ، وكان في المدعوين فضيلة الشيخ الفاضل بن عاشور جدد الله عليه الرحمات ، واظنه كان بصدد تأليف في الحديث الشريف وحيث انه يعرف المركز العظيم الذي تحتله مخطوطة الصدفي فقد استعارها لتدقيق المقابلة .

وقد جاء في التوصيل الذي كتبه ووقعه ما يلي :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بنغازي في 11 صفر 1376 موافق 18 شتنبر 1956 .

توصل الموقع اسفله محمد الفاضل ابن عاشور من السيد ناظر مكتبة الاوقاف لبنغازي بنسخة صحيح

= السلام عليك ايتها المغاني المقدسة بالاكياس، المطهرة من الادناس ، المحلاة بافضل لباس ، المستحقة ؟ لخلفاء بني العباس ، المتارج عرفها ونشرها ، السائر مع الملوك ذكرها ، وظل العزة الرضية ومفرش ؟ السجود المباركة النبوية .

ومغنى امير المؤمنين وداره * ومنها عماد الملوك قر قراره
تخيرها المنصور دارا فحلها * واوطنها من كان حقا تجاره
هي الروضة الغناء والربوة التي * تخيرها قدما فصار خياره
وفيها امير المؤمنين محمد * وخير شعار الموسرين شعاره ؟
وتهمل في اكناف دجلة جيله * ويضرب فوق الشط منها مضاربه الخ
يا رب امعني لطيف في معالمها * تراه عين عما ؟ الانكار قد حجبا

يروي لبغداد ان العلم متجرها ؟؟
وهناك مجموعة من الكتب الطبية تضاهي كتاب الادوية المفردة للغافقي الذي اكتشف بطرابلس منذ سنوات : كنز العلوم والدر المنظوم في فن الطب لمؤلف مجهول وقد اختصره في خمسة ابواب ، وبه تعليقات وتوقيفات جد طريفة وذات صلة كبيرة بالطب الحديث .. وقد خبط مع هذا كتاب آخر في الطب فيه عشر مقالات وثلاثة وسبعون فصلا كان منها فصل خاص بعلاج الهزال وعلاج البدنة ايضا ... وهناك كتاب ثالث آخر في الطب اسمه الاعلام لعلي بن عبد الصادق العبادي نسبا الجبالي لقبا ... وكتاب الداء والدواء لابن القيم ... وهنا ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا لشهاب الدين الخفاجي الذي يتناول ايضا فيها جانبا من المغرب ... وكتاب لباب الالباب في تحرير الانساب لمحمد بن احمد التواتي .. هذا الى عدد من المؤلفات في التوقيت وادواته : الاسطرلاب ، انصاف الدوائر ، المزاول ... وديوان (شيخنا) سيدي حمدون بن الحاج .. وكتاب الفصوص لمحيي الدين بن العربي .. ومجموع بعنوان اسانيد المغاربة فهرست ابن غازي ، والشيخ عبد القادر والكوهن ، والعميري وابن سودة ، والبناني .. لكن فقد من المجموع ابن غازي والكوهن والبناني .. ومن محتويات الخزانة نسخة من الانجيل طبعت بباريز منذ عام 1837 . واتمنى ان تسمح لي الفرص بتقديم وصف أدق ترتيبا وأكثر شمولا لكل تقييداتي في هذه الرحلة الى الجغبوب والتي قلتها .. جريدة طرابلس الغرب عدد الاحد 18 يناير 1953 .

البخاري المخطوطة عدد 2159 لحملها معه الى تونس لتبقى لخزنة المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة الاعظم لتصحح عليها نسخة الصحيح ثم توجه الى مقرهـا الاصلي مع الشكر الجزيل والسلام .

(التوقيع)

وهكذا اختصرت الرحله وعدت فور الحصول على المرغوب للراحة في طبرق حيث اخذت طريقي فى الصباح الموالي الى البيضاء لاطير منها الى طرابلس عبر بنغازي ...

وقدوة بالشيخ ابن عبد السلام الناصري الذي كان انشد البيتين الماضيين عندما عثر على النسخة لاول مرة ، نظمت كذلك على الوزن والقافية :

(هذا الكتاب الذي تاق الملوك له
من خط فخر الرواة الحافظ الصدفي

رعته زاوية الجغبوب فى كنـف
قصانها الله فى عز وفى شرف !)

— ◆ —

لقد افاد توصيل الشيخ ابن عاشـور (62) ان المخطوطة كانت فى مكتبة بنغازي ، وهـو ما ذكـره محافظ مكتبة الجغبوب مؤكدا ان كل ما كان هنـاك تحول الى الواحة بما فى ذلك الخروم والاوراق التي وجدت من بيتها التوصيل المذكور ، وهكذا يكـون الكتاب ظل متنقلا بين طرابلس وبنغازي والجغبـوب حسب امن المنطقة وذلك زيادة في الحفاظ عليه ...

لقد كنت اتصور جيدا الفرحة التي تملكت الملك الادريس وهو يتلقى بشرى العثور على مخطوطة كانت مطمح الامراء والعلماء ...

ولكني لم اكن اتصور انه سيصـدر امـره الى شخصية كبرى فى الدولة لتاخذ طريقها – اظـن فى طائرة خاصة – الى تونس من اجل التاكد من وجود المخطـوط !!

لقد طلب الي ان اقدم اليه وصفا مدققا للكتاب من خلال ما كتبه الرحالون المغاربة ، فكان لي شرف ارضاء الطلب الذي ختمته بتاريخ 17 ربيع الاول 1388 (13 يونيه 1968) بهذه العبارات :

« ... واذا كان لي من نصيب يذكر عند الله فى احياء هذا الكتاب فان الفضل الاكبر والمأثرة الجلى كانت للذي اظهر من جليل الاهتمام بهذا التراث ما عرف به المسلمون الاوائل ... »

ومن طريق المصادفات ان مقدم المبعوث الخاص صادف وجود السيدة ام كلثوم فى زيارة فنية لتونس فتحدث بعض الناس بأن الهدف من وصول المبعوث الليبي هو توجيه الدعوة لكوكب الشرق من اجل احياء ليالي فى طرابلس وبنغازي !

نعم لم يعد السفير الا وقد فتح الله عليه ، فرجع ومعه ذلك التراث الذي كتب له ان ينتقل مرة رابعـة وخامسـة من برقة الى تونس ومن هذه الى طرابلس ..

وفي جلسة خاصة مع العاهل فى بيته المتواضع بالبيضاء افتر ثغره وتهللت اساريره للكسب العظيـم الذي قال : انه يفوق بالنسبة اليه اخبار اكتشـاف حقول النفط ! مضيفا الى هذا انه يعتبر المغرب جديرا بهذا المخطوط .. وانه هو وحده الذي يستحق شرف امتلاكه ، ليس فقط لان السلطان المولى سليمان كان اشتراه من مالكه ، ولكن ايضا لان سفير جلالة الملك الحسن الثاني توفق فى تقفي آثار هذا الكنز الثمين .. وتعبيرا من العاهل الفاضل عما غمره من مسرة تكرم فأثرني باجازة على طريقة المشايخ القدامى وكانت تحمل توقيع (محمد ادريس المهدي السنوسـي) وتاريخ ثلاثين جمادى الاولى 1388 (25 غشت 1968) وعندما قدمت لمقامه تقييما للمجهود الذي قام به بعض المستشرقين عندما نشر جزءا من نسخة ابن سعادة الذي هو تلميذ الصدفي .. لم يتردد فى ان يعرب عن مشاعره فى ان اقوم بمثل العمل بالنسبـة لنسخـة الصدفي حتى يتسنى توزيع نسخ من المخطوط ، بعد نشره ، على كافة الملوك والرؤساء المسلمين فى سائر جهات الدنيا على نحو المأثرة التي قام بها الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية عندما قدم للمسلميـن

(62) فى حديث الشيخ ابن عاشور عن « النسخة الشيخة » بمناسبة بحثه حول التوامـة بين فـاس والقيروان ، لم يشر للحديث عن نسخة الصدفي مجلة المغرب دجنبر 1965 يناير 1966 .

مصحفه الفريد المجيد . وقد وعدت بانجاز المقدمة التي احلي بها صدر المخطوط ..

وبالرغم من ان الواجب نادى الى ارض الرافدين من جديد ، فقد ظللت وفيا بالوعد الذي قطعته على نفسي واستمررت على مراسلة العاهل فيما يخص هذا الكتاب الجليل ، وقد علمت انه أي المخطوط اخذ الى محل اقامة الملك بطبرق ، ولما عزمت على الالتحاق ببغداد كان في النية ان اعرج على تلك الديار من اجل اخذ اللوحات اللازمة لكن الادريسي كان قد تحول الى غرب البلاد في تفقدات داخلية .

واغلب الظن ان المخطوط ما يزال بطبرق وانه لم يصحب الملك في رحلته الاخيرة التي انتهت بمقامه في الاسكندرية .

وبعد فقد رأيت اليوم من الامانة للتاريخ والشفاء للنفس ان اتعجل بتحرير هذا التعريف ولو اني كنت آمل ان أتمكن – على الاقل – من نشر عدة لوحات للمخطوطة توضيحا لها وتبيينا ... وذلك في انتظار الالتفات الى ذلك التراث الذي كان كمية كبار العلماء واعيان الحفاظ في الاندلس وبلاد افريقيا والمغرب ... ذلك التراث الذي لاذ بالمغرب بعد سقوط الاندلس وسار في رحلة الى اسطامبول على ان تحتضنه رفوف طرابلس ويوجه سلطان المغرب لمالكه الف مثقال فتحول ظروف عصبية دون وصول المخطوط الى حاضرة فاس .

د. عبد الهادي التازي

